ماهية المقطع الصوتي بين القدامى والمحدثين

د: بن فريحة الجيلالي
قسم اللغة العربية وآدابها
معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي تيسمسيلت

ملخص: ظل الخلاف قائما بين علـــماء الأصوات حول مفهوم المقطع وطبيعة وجوده وأهميته في التحليل اللغوي، واعتبر بعضهم أن لا قيمة لدراسته، وهذا ما كانت تعتقده الدراسات السابقة خلال القرن**18** وبداية القرن **19**؛ فكان بين الدارسين اللسانين خلاف في المقطع يصل إلى حدّ أن بعضهم ينفي وجوده صوتيا لصعوبة تحديد نقطتي بدئه وانتهائه، ويرى آخرون أنه مفهوم لا فائدة فيه ؛ ولكن ماجاءت به الدراسات القديمة والحديثة حول طبيعة المقطع تثبت وجوده وحقيقته كمكوّن أساسي لإبراز الصوت في السلسلة الكلامية، وتناولوا ذلك من الجانب الفيزيولوجي، الفيزيائي والفونولوجي.

مقدمة:

تتميز اللغة الإنسانية بخاصية تتابع صوتي في شكل مجموعات متتالية، يمكن تمييز أصوات كل مجموعة عن الأخرى، ولا وجود لتطابق هذه المجموعة الصوتية غالبا مع الكلمات التي تؤلف تلك المجموعات بين كلمتين في الكلام المتصل، وهذه الأصوات المتسلسلة تتكون من صنفين رئيسين من الوحدات الصوتية: الصامت والصائت؛ حيث تتسلسل في الكلام بترتيب معين تحدده قوانين النظام الصوتي للغة وبحسب المعنى المراد التعبير عنه، وأطلق على كل مجموعة منها اسم "المقطع".

تعريف المقطع:

لغة: كلمة (مقطع) من القطع، وهو إبانة بعض أجزاء الشيء من بعض، يقال: قَطَعَ يَقْطَعُهُ قَطْعاً، وقطعه واقتطعه فانقطع، وتقطَّع بتشديد الطاء للكثرة ...

والمقطع: الموضع الذي يُقطع فيه النهر من المعابر.

ومقاطع القرآن: مواضع الوقوف، ومبادئه: مواضع الابتداء[1].

أما اصطلاحا فسنكتشفه من خلال نصوص جاءت في هذا الصدد عند علماء العرب القدامى وعند المحدثين من الغربيين والعرب.

أولا: مفهوم المقطع اللغوي عند القدامى:

قد أدرك الإنسان فكريا منذ القدم الوحدة الكلامية التي تسمى بالمقطع الصوتي، فأول نظـــام عملي للكتابة أوجده الإنسان كان ما فعله العراقيون القدامى منذ الكتابة السومرية؛ حيث اتبع هذا النظام البنية المقطعية في إيجاد الرموز الخطية للأصوات الكلامية يمثل كل واحد منها مقطعا صوتيا، فكانت الكتابة المسمارية التي نقلت

البشرية من نظام الكتابة الصورية التي تدل فيها كل صورة إلى شيء معين إلى نظام الكتابة التي تترجم فيها الأصوات الكلامية إلى رموز خطية.[2]

وقد استعمل مصطلح "المقطع" في التراث العربي بمعان مختلفة، فجاء ذلك في عدة نصوص نذكرها عند أصحابها ومن ذلك سبيل المثال:

***عند الجاحظ (ت255 هـ)**: لم يتحدث الجاحظ عن المقطع بشكل صريح، وإنما جاء الحديث عنه عندما أورد تعريفا للصوت، نظرا لعلاقة الأول بالثاني؛ حيث لا وجود للتتابعات الصوتية إلا بوجود مقاطع تكونها الصوامت والصوائت. فذكر أن «الصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت. ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف »[3]؛ لأن بالتقطيع تتمايز الأصوات والنغمات.

* **عند الفارابي (ت 339 هـ)**: أما معنى المقطع عند "الفارابي" كان له باع هام في مجال الدراسات الصوتية ضمنها في كتابه الضخم "الموسيقى الكبير"إذ يقول: «وكل حرف غير مصوّت (أي صامت) أتبع بمصوّت قصير (حركة قصيرة)، قرن به، فإنه يسمى "المقطع القصير". والعرب يسمونه الحرف المتحرك، من قبل أنهم يسمون المصوِّتات القصيرة حركات. وكل حرف لم يتبع بمصوِّت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل»[4]، فالمتمعن في هذا القول يجد أن "الفارابي" تناول فيه الصوت اللغوي الإنساني الدال، والمقطع الصوتي بما يُظهر قدرته على الإفادة من فكرة المقطع في دراسة أوزان الشعر، وحسن تصرفه بالمصطلح وإطلاقه تسمية المقطع القصير على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت قصير، والمقطع الطويل على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت طويل، واستعماله كلمة حرف بما يقابل مصطلح الصوتية (الفونيم) وغير ذلك من مسائل الدرس الصوتي الحديث المهمة[5].

وهذه إشارة واضحة على أن "الفارابي" قد أدرك فكرة المقطع بالصورة التي تصورها المحدثون، «وعلى الرغم من أنه لم يقدم لنا تعريفا للمقطع أو تحديدا لمفهومه نظريا، فقد انصرف بأمثلته إلى الإفصاح عن خواص المقطع من حيث التركيب والبناء، أي كونه أشبه بحزمة أو عنقود من الأصوات المتتابعة على وجه مخصوص، هذا بالإضافة إلى قصر أمثلته الواردة هنا على اللغة العربية، فكأنه يسير حذوك النعل بالنعل سير الآخذين بالمنهج الفونولوجي (لا الصوتي المحض) الذي ينظر إلى المقطع وتعريفه من حيث بنيته ومكوناته في سلسلة الكلام » [6]، وهذا ما أكدته الدراسات الصوتية الحديثة.

***عند ابن جني (ت 392هـ)**: يتضح معنى المقطع من قول "ابن جني" حينما تحدث عن مخارج الحروف وكيفية مرور الهواء عند النطق بها، يقول: «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه وامتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها»[7]، فكلمة المقطع الواردة في النص تعني قطع الهواء أو وقوفه كليا ومن ثم يتكون الحرف (الصوت) ويتحقق قطعه من مخرج محدد، وبذلك تختلف صفات الحروف أو مخارجها وفقا لاختلاف مقاطعها، وقد استخدم "ابن جني" كلمة (مقطع) للدلالة على اسم مكان أو مصدرا ميميا الذي يعني مكان قطع الهواء، أو حدوث هذا المقطع.[8]

***عند ابن الدهان (ت592 هـ)**:ذكر "ابن الدهان" «أن بين الألفاظ والحروف المقاطع، والمقاطع تنقسم إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيف مركّب من صامت ومصوِّت، والثقيل من صامتين ومصوِّت؛ لأن المصوِّت إما أن يُنطق به في أقصر زمان يكون فيه اتصال الصامت إلى الصامت وإلى السمع، وهو المقطع المقصور والسبب الخفيف العروضي، مثل: لَنْ، وإما أن يُنطق به في ضعف الزمان أو أضعافه، ويسمى مقطعا ممدودا والوتد المفروق العروضي مثل: قَاعْ»[9]. وهذا ما يفسر أشكال المقطع التي سنتناولها فيما بعد.

ولم يتفق علماء الأصوات على تعريف واحد للمقطع وذلك راجع إلى الرؤى المختلفة حول الوظيفة الأكوستيكية الفيزيائية أو الوظيفة النطقية للمقطع.

ثانيا: عند علماء الغرب المحدثين:

– **"دي سوسير"**: هو«الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفته داخلها»[10]؛ لأن الفونيم أصغر وحدة في التركيب، ومجموعة منها هي التي تكون المقطع وتحدد أشكاله.

– **"بولنجر (bolinger)"**: يؤكد الأسباب وراء أهمية المقطع، يرى أن الفونيمات لا حياة لها إلا داخل المقطع [11]؛ لأنها لا تنطق من المجموعة البشرية منفصلة، وإنما على شكل تجمعات فصفاتها وخصائصها وكيفية انتظامها في مقاطع تعتمد على طبيعة المقطع وتشكيلاته.

– **"كانتينو"**: «إنّ الفترة الفاصلة بين عمليتين من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء أكان الغلق كاملا أم جزئيا هي التي تمثل المقطع.» [12]

ولكن الدراسات التجريبية القائمة على التسجيلات الفونغرافية لحركة تيار الكلام أثبتت أن عضلات الصدر تحدث بنبضة منفصلة من الضغط لكل مقطع، وقد نشر "ماريشال" رئيس مدرسة تعليم الصم بباريس نتائج أبحاثه التي أقرت بأهمية المقطع كأساس متين من أسس التحليل اللغوي، وعلى هذا لم يعد ينظر على المقطع على أنه «ظاهرة صوتية لا حدود لها وأن تجميع الفونيمات في مقاطع مجرد اِصطلاح دون تحقيق موضوعي.» [13] ويعرفه بأنه:« تتابع من الأصوات في تيار الكلام، له حد أعلى أو قمة إسماع بين حدين أدنيين من الإسماع» [14]. وهذا متعلق بطبيعة نطق الصوت الذي يتجسد في أبسط شكل للمقطع (صامت + صائت).

– **"ماريو بـــاي"**: يؤكد أن المقطع يعتبر من العوامل الرئيسة في اِكتساب طريقة النطق المماثلة لأهل اللغة، فالتجمّعات الفونيمية على هيئة مقاطع تمنح المتكلم فرصة أفضل في التدريب والمران، فإذا اِعتمد النطق المقطعي المتدرج البطيء وكيفية التعامل مع سياقاتها؛ فالمقطع في أبسط صوره تتابع فونيمي على لغة ما، وقد برز اِتجاهان على تعريفه والوقوف على حدوده اِتجاه صوتي والآخر وظيفي.

ومن تعاريف الاتجاه الفونولوجي للمقطع أن اللغة عبارة عن بنية أو تركيب، تتكون من وحدات، منها وحدة النظام الصوتي التي تدعى الفونام؛ فالصوت شيء مادي محسوس يتحدد من جانبين:

– الفيزيائي: عبارة عن موجات في الهواء تنتج عن طريق اصطدام بين جسمين.

– الفيزيولوجي: فهو ذلك الصوت الذي ينتج عن النفس الصاعد من الرئتين مرورا بأحد التجويفين: الأنفي أو الفموي.

ثالثا: عند العلماء العرب المحدثين:

– **تمام حسان**: يعرف المقاطع على أنها «تعبيرات على نسق منظم من الجزئيات التحليلية أو خفقات صدرية أثناء الكلام»[15]، وهذا يعني أن لكل لغة من اللغات قواعد خاصة تحكم النظام المقطعي داخل سلسلة من الأحداث الكلامية ليشكل نسقا منظما بحيث تكون فيه الجزئيات متتابعة من السواكن والعلل.

– **أحمد مختار عمر**: أن المقطع «يشكل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية والتي يتشكل كل منهما من أصغر وحدة تسبقه، الوحدة الصغرى للفونيم ثم يأتي المقطع المكون من فونيمات بترتيب معين، ثم تأتي مجموعة النغم (قطار المقاطع) المحتوية على النبر وعلى تتابعات من مجموعات النغم »[16]. فهناك درجات متتابعة تكوّن التركيب بدءاً بأصغر وحدة وهي الفونيم ثم المقطع الذي يتألف من فونيمات ثم المورفيم الذي يتكوّن من مقطع أو عدة مقاطع، وأخيراً مجموعة من المورفيمات تكوّن لنا التركيب أو الجملة.

– **بسام بركة**: أن المقطع « وحدة صوتية أكبر من الفونيم (الصوت اللغوي) يتكون من نواة تدعى النواة المقطعية، عبارة عن صائت عموما، مصحوبة بصامت واحد أو أكثر، وتتصف مكونات المقطع بالإتحاد وبنوع من التماسك النطقي والنسقي عند بعض العلماء » [17].

فإن أول تركيب لغوي قاعدي هو اتحـــاد صامت مـــع صائت يكوِّن لنا نواة الأسرة اللغوية (المقطع)، وبتفريع الصوائت إلى جزئياتها تمتد جذور الكميات التنويعية بنوعيها: الاتساعية والتمددية ولكل منها فروع تتفرع عنها، وتكون هذه الصوائت مع الصوامت المقطع الذي يعرف (بالحرف)، وهو عند الدارسين اللبنة الأولى التي ينطلق منها كل بناء وآخِر ما ينتهي إليها كل تحليل[18].

– **حسام سعيد النعيمي**: يعرفه أنه «وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت وتنتهي قبل أول صامت يرِد متبوعا بصائت»[19]. وهنا يعطي لنا حد المقطع إذ يمكنه أن يكون في أصغر شكل له وهو صامت + صائت (ب+ ـــَ) ويمكن أن يكون في أشكال أخرى بحيث إذا وجدنا في الأخير صامت + صائت فتلك بداية مقطع آخر.

ويمكن إيراد التعريفات السابقة في الشكل التالي :

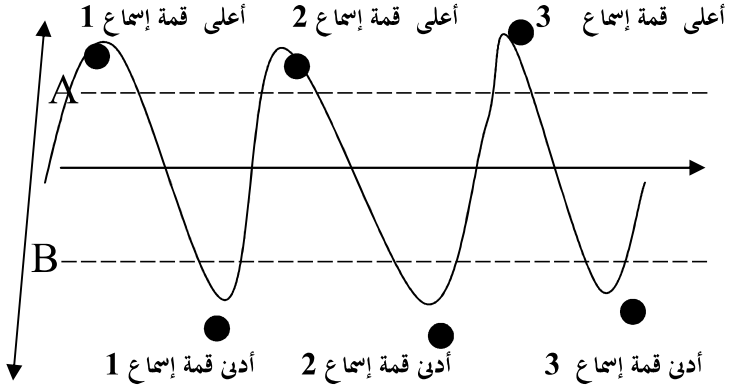

يمثل الخط **A-B** الوسط الذي ينتقل بواسطته الكلام.

أما الاتجاه الفونولوجي فيعرّف المقطع بالنظر إلى كونه وحدة في لغة على حدة وحينئذ لابد أن يشير تعريف المقطع إلى «عدد من التتابعات المختلفة من السواكن والعلل بالإضافة إلى عدد من الملامح الأخرى مثل الطول والنبر والنغم، أو علل مفردة تعتبر في اللغة المعينة كمجموعة واحدة بالنسبة لأي تحليل آخر.» [20]

***أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية**: قد تباين الدارسون العرب في بعض أنواع المقاطع ويعود ذلك إلى أن تحديد المقاطع يعتمد على النطق المستعمل في كل بلد؛ حيث يميل العربي إلى استعمال النظام المقطعي المعروف في لهجة العامية حينما يستعمل الفصحى، وهناك نوعان من المقاطع:

1. **من حيث المادة**: نرمز للصامت ب:ص وللصائت أو الحركة ب: ح

أ/ **مقطع قصير**: ص ح مثل: بَ / فِ / تُ .....

ب/**مقطع متوسط**: ص ح ح مثل: مَا/ لُو / فِي .....

ص ح ص مثل: عَنْ / كَمْ /قُمْ .....

جـــ/ **مقطع طويل**: ص ح ح ص مثل: حَام/ نُومْ / سِيمْ....

ص ح ص ص مثل: عِلْمْ / شَعْبْ /بِئْرْ .....

2. **من حيث الشكل**:

أ/ **مقطع مفتوح (حر)**: هو الذي يبدأ بصوت صامت وينتهي بصوت صائت مثل: ص ح / ص ح ح: رَ/ رَا.

ب/ **مقطع مغلق**: وهو الذي يبدأ بصوت صامت وينتهي به أو بصامتين مثل:

- ص ح ص: لَمْ، مِنْ...
- ص ح ح ص:نَارْ، لِيمْ ...
- ص ح ص ص: صَمْتْ، سِحْرْ...

فالمقاطع الشائعة والمستعملة في اللغة العربية هي:

1- مقطع قصير مفتوح: يتكون من صوت صامت وحركة قصيرة "لَ"

2- مقطع متوسط مفتوح: يتكون من صوت صامت وحركة طويلة "لِي"

3- مقطع متوسط مغلق: يتكون من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة "مَنْ"

4- مقطع طويل مغلق:حركة طويلة من صامتين "بَابْ"

5- مقطع زائد في الطول: صوت صامت ثم حركة قصيرة ثم صوتان صامتان "نَهْرْ"

نستنتج من هذا التحليل أنّ[21]:

- للعربية خمسة مقاطع.
- لا تحتوي العربية على كلمة تفوق أربعة مقاطع إلا ما جاء على وزن يتفاعل يتفعلل يتفعَّل.
- أكثر المقاطع شيوعا :ص ح ص، ص ح
- أقل المقاطع وقوعا:ص ح ح ص، ص ح ص ص، وهذا لا يتحقق إلا في حالة الوقف إذا كان في آخر الكلمة.
- المقاطع العربية تبدأ بصوت صامت(ص)
- لا تحتوي العربية على مقاطع (ص ص ح) لأنها لا تقبل إلقاء ساكنين وهذا يتوفر في الانجليزية (**ccv - tree**)
- تفرّ العربية من المقاطع الزائدة في الطول مثل: ص ح ح ص ص أو ص ح ح ص ص ح
- المقطع الرابع لا يجوز في اللغة العربية إلا في آخر الكلمة في حالة الوقف ويشترط أن يكون المقطع التالي له مبتدئا بصامت، ويماثل الصامت الذي ختم به المقطع السابق، وهذا ما عبرت عنه العرب بالتقاء الساكنين، وهو أن يكون الأول حرف لين والثاني مدغما مثل: الضّالين، ولهذا يحول إلى النوع الثالث مثل :"يقوم" في الجزم "لم يقم" أصلها لم يقوم "المقطع قوم" هو من النوع الرابع الذي تفر منه العربية".

وهناك من أضاف مقطعا سادسا ويتمثل في صيغة ثالثة للنوع الطويل وهي: ص ح ح ص ص يسمى بالمقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق. وهذا لايتحقق إلا في حالة الوقف، مثل: ضَالّْ: ص ح ح ص ص[22].

كما أن هناك مقطعا آخر تفرّد به "تمام حسان" وهو: (ص) أقصر مقطع يمثل الحرف الصحيح المشكّل بالسكون؛ حيث يتحقق في "لام" التعريف و"سين" الاستفعال، مثلا: اِسْتَخْـــرَجَ: ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح. أو مثلا: اَلْبَحْـــرُ: ح ص / ص ح ص / ص ح/. ولكن العرب لا تبدأ بساكن لذا نأتي بحركة قبل هذا الحرف الساكن، وهذه الحركة ترتكز على همزة الوصل فيكون شكل المقطع كما يلي: (ح ص) فيكون مقطعا قصيرا مغلقا[23].

وقد أجمل "أحمد ختار عمر" مقاطع اللغة العربية في الشكل التالي:

النوع	الشكل	المثال
(ص ح)	مقطع قصير مفتوح.....بَ ، مُ ، لِ	
(ص ح ص).....	مقطع متوسط مغلق..... مَنْ ، قُلْ ، لَنْ	
(ص ح ح).....	مقطع متوسط مفتوح..... مَا ، هَا ، نَا	
(ص ح ح ص).....	مقطع طويل مغلق..... نَارْ ، غَارْ	
(ص ح ص ص)	مقطع أطول مغلق.....مَثْلْ ، عِلْمْ	

خاتمة

إن المقطع وحدة أساسية ولبنة رئيسة في الكلمة أو في السلسلة الكلامية أوالتركيب رغم اختلاف الآراء في ماهيته وطبيعة وجوده بين علماء اللة القدامى الذين نظروا إليه من جانب تحديد الوحدات الصوتية في التركيب وهنا يرتكزون على الحرف والحركة؛ لأن كل عنصر منفرد لا يؤدي صوتا معينا بل اتحاد هذين العنصرين هو الذي يعطي صوتا ويحدد أبسط شكل للمقطع (المقطع القصير ص ح)، بينما المحدثون (علماء الغرب، علماء العرب) نظروا إليه من جوانب عدة: الفيزيائي، الفيزيولوجي، الفونولوجي.

وكل هذه الآراء ـــ رغم اختلافهاـــ تتفق على أن المقطع المكون الأساسي للكلمة أو التركيب، وبه يظهر الصوت، كما أنه الوحدة التي يؤدي الفونيم وظيفته داخلها.

الهوامش

1- ينظر، لسان العرب، ابن منظور، تح: محمد بن مكرم، طبعة بولاق، **10/145-151**.(مادة قطع)

2 - ينظر: شرح صوتيات سيبويه، د. عبد المنعم الناصر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط**1**، (**2012**)، ص: **295**

3- البيان والتبيين، الجاحظ، اعتنى به الشيخ زكريا عميرات، دار الفكر العربي، بيروت، ط**1** (**2000**)، **1/ 45**.

4 - المرجع نفسه، ص: **507**.

5 - ينظر: مجلة النقد والدراسات الأدبية واللسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، مكتبة الرشاد، الجزائر، العدد **03**، ص: **135**.

6- علم الأصوات، د. كمال بشر، ص: **507**.

7 - سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط**1**، (**1985**)، ج**1**، ص:**06**.

8 - ينظر : علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، (**2000**)، ص: **506**،**507**.

9- المدخل إلى علم أصوات العربية، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، الأردن، ط**1**، (**1425هـ/2004م**)، ص: **188**.

10 - محاضرات في الألسنية العامة، فار دينان دي سوسير، تر: يوسف غازي ومجيد النصر، دار النعمان للثافة جونيه – لبنان – (د.ط)،(د.ت)،ص:**27**.

11 - ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل،ص: **214**.

12- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط**4**،(د. ت)، ص **196**.

13- الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء – الأردن، ط1،(**1418** هـ/**1998** م) ص**216**.

14 - دراسة الصوت اللغوي، أحمد عمر مختار، ص: **284**.

15 - مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دارالثقافة، الدار البيضاء ، المغرب، (د.ط)،(د.ت) ،ص:**170**.

16 - دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، (د .ط) ، (**1418** هـ/**1997** م)، ص: **282**.

17 - علم الأصوات العام – أصوات اللغة العربية–، بسام بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص:**97**.

18 - ينظر : مجلة النقد والدراسات الأدبية واللسانية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي بلعباس ص: **103**

19 - أبحاث في أصوات العربية، حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية ، بغداد، العراق، ط**1**، (**1998**)، ص: **08**.

20 - المرجع نفسه، ص:**285**.

21 - ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص: **307** وما بعدها.

22 - ينظر، التحليل الصوتي للنص، مهدي عناد قبها، دار أسامة، عمان ـــ الأردن ـــ ط**1**، (**2013**)، ص: **33 .**

23 - ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط**3**، (**1998/1418**) ص: **69**.